

تنبيه لغوي حول قولهم في الدعاء "ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا"

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد

فقد شرعت في كتابة هذه السطور تلبية لرسالة كريمة من السيد الفاضل رئيس قسم اللغة بدار القرآن، جاء فيها ما ملخصه: "نسينا بالبناء للمعلوم أو بالمجهول، نريد كتابة وجه الاستدلال على القضية السابقة صفحتين أو صفحات لتنبيه طلابنا عند قراءة هذا الدعاء، وقد سرتني هذه الرسالة لأن واجب الأساتذة أن تكون أعينهم على الجيل الجديد ينظرون ناقصه فيتمونه ويلحظون حزنه فيسهلونه ويأخذون بيده حتى لا يعثر في طريق طلب العلم الشريف، غير أن هذه القضية لا يناسبها المنهج الاستدلالي الذي نحتاج إليه فقط عند اعتقادنا صحة وجه من الوجوه وفساد الآخر فنسرد الأدلة التي تدعم ما اعتقدناه، أما القضية الخاصة ببحثنا فهي ذات وجهين كل منهما صحيح؛ وعليه فنحتاج إلى المنهج التحليلي الذي يعرض التوجيه الصحيح للأوجه الجائزة.

وقبل تحرير المسألة المقصودة أود أن أقدم بمقدمة أنبه فيها الطالب المخاطب بهذه السطور تنبيهين مهمين عسى الله أن يفتح قلبه وذهنه للانتفاع بهما: أما التنبيه الأول فهو أن الجملة العربية إذا توافرت فيها شروط البلاغة فإنها قد تحتل عدة أوجه من المعنى، وصحة وجه من هذه الأوجه لا يعني فساد الأوجه الأخرى فكما قال العلماء "النكات البلاغية لا تتزاحم" وقالوا أيضا "التركيب النفيس كالحجر النفيس كلما أدرته أبصرت منه شعاعا جديدا" وأنت إذا ما قرأت في كتب أهل العلم وجدت تلك الظاهرة منتشرة جدا، فمثلا قول الله تعالى "اهدنا الصراط المستقيم" فسر بعض العلماء الصراط المستقيم بدين الله الذي لا يقبل من عباده غيره، وقال آخرون: هو طريق الحج، وقال

آخرون الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه وغير ذلك كثير فهذه اوجه متعددة للمعنى وكلها صحيحة إذا أخذت بواحد منها فإنك لا تحكم بالفساد على غيره، ومسألتنا التي ندرسها خير مثال على ذلك.

التببيه الثاني: أن اللغة المأثورة تقدم على القواعد فاللغة فوق القواعد تحكم عليها، وليست القواعد هي الحاكمة على اللغة، ولا تظن أنك إذا مكثت تدرس كتب النحو والصرف زمنا طويلا أنك بذلك قد تكون درست اللغة فالحقيقة أنك درست قواعد اللغة، واللغة هي ما نطق به أهل اللسان، وهذا المعنى يخفى على كثير من الطلاب فيحزنون لأنهم يقضون أوقاتا طويلة في دراسة القواعد اللغوية ومع ذلك لا يشعرون أنهم جيدون في استعمال اللغة أو قرييون من فهم إعجاز القرآن الكريم.

بعد هذه المقدمة نأتي إلى الكلام في مسألتنا محل البحث فنقول وبالله التوفيق.

إن الوجهين المذكورين في الفعل "نسينا" كلاهما صحيح من الناحية الصرفية والنحوية وكذلك سمع الوجهان من أفواه العلماء الأثبات وأثبتنا في الطبقات المصحفية المراجعة من كبار العلماء

أما من الناحية البلاغية فالوجه الثاني وهو البناء لما لم يسم فاعله هو الوجه الأقرب للبلاغة والأنسب لحال الأدب مع الله في مقام الدعاء والمناجاة، والسبب في هذا أن النسيان في لغة العرب من معانيه الترك والإهمال ومنه قول الله تعالى "فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم" وليس من الأدب أن ينسب العبد إلى نفسه هذه المعاني في حق القرآن العظيم فالبناء للمعلوم يشعر بعدم الاعتناء بالقرآن وقلة التعظيم له.

أما في حال البناء لما لم يسم فاعله فكأن الله أنساه عقوبة له على عدم تعهده ومداومته
وكأن لسان حاله يقول: لم أنس تركا وإهمالا ولكن هذه عقوبة أصابتنى لضعفي البشري
ونقصاني وقلة حيلتي، فيظهر ضعفه ونقصه لربه وذله بين يديه.

ولعل الذي يقوي هذا التوجيه هو الحديث المتفق عليه في البخاري ومسلم عن عبد الله
بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم:

"بُئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، بَلْ نُسِيَ وَأَسْتَذْكُرُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَشَدُّ
تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ"

البخاري 5032 ومسلم 790

والله أعلم ومنه التوفيق

وكتبه

ياسر محمد عبده

مدرس اللغة العربية

بدار القراءان

واعتمده رئيس قسم اللغة العربية

بدار القراءان

مصلحة الشؤون الإسلامية الماليزية (جاكيم)